جامـــعة واســـط
مجلـــــــة كليــــــة التربيــــــة



العدد التاسع والثلاثون
الجزء الثاني / أيار / ٢٠٢٠

أصول العقيدة الشامانية ديانة متعددة الآلهة أم توحيدية
(دراسة في أوضاع الدين والمعتقد عند المغول)

م.د. أحمد فرطوس حيدر
جامعة الإمام جعفر الصادق (ع) / بغداد
ahmed_ahmed961@yhoo.com

الخلاصة

تناول هذا البحث أصول العقائد الشامانية وفلسفتها تلك الديانة التي ظلت مجهولة ومنزوية للكثيرين رغم أن نشأتها تعود إلى ماقبل الميلاد لكنها ظهرت بشكل مفاجىء للعلن في بداية القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي عندما قاد جنكيزخان حركة توسعية كبرى تمكن خلالها من أحتلال بلدان عديدة لكون هؤلاء الغزاة كانوا ينتمون لهذه الديانة ، وأهم ما توصل إليه البحث أنه أنفرد برأيي جديد فيما يخص العقائد الشامانية ويكاد يخالف ما أجمعت عليه المصادر العربية الاسلامية التي تجمع بأن مريدي هذه الديانة يعتنقون آلهة متعددة كإله الشمس والقمر والبرق والرعد وغيرها ، في حين أن هذه الدراسة وبالاستناد إلى المصادر الاوربية ومرويات الرحالة الذين زاروا أصقاع هذه البلاد تؤكد أن أتباع الديانة الشامانية يؤمنون بآله واحد خالق للكون ، وأن تقديس الظواهر الطبيعية كالشمس والقمر والرعد وسواها ما هو إلا تقديس لدفع أذاها، وأن هذه الظواهر ما كانت لتحدث لولا غضب آلاله تنغري .

أما فيما يخص نشأة هذه الديانة فإن هذه الدراسة تؤكد أنها نشأت في سيبيريا شمال شرق روسيا ثم أنتشرت على نطاق واسع في منغوليا بعيداً عن النظرة التقليدية التي تذكر أن ديانة الشامانية دين المغول الاصلي.

الكلمات المفتاحية : الشامان ، الاله تنغري، المغول ، جنكيزخان

Shamanism

A multi-deity or monotheistic religion

(A study of the conditions of religion and belief among the Mongols)

DR. Ahmed faros Haydr

Imam Ja`far al-Sadiq University / Baghdad

Abstract

This research deals with the origins of the shaanic beliefs ,which remaind unknown and central to many , although their origin dates back to the period 13 th AD Century when Genghis Khan led a large expansionist movement in which he conquerd many countries, who belong to the Shamanic religion, and the most important findings of the research that we have unique opinion about the new shamanic beliefs and almost Arab Islamic Sources that almost gather that the followers of this religion embrace the multiple Gods such as the Sun , Moon, Lightning, Thunder and others . While this study , based on European Sources and travelers' contentions that visted the part of this country , confirms that the followers of the Shamanic faith believe in one God Creator of the Universe , and that the sanctification of Natural phenomena such as the Sun, Moon, and others is nothing but sanctification propel them and that these phenomena would not have happened had it not been for the wrath of Mala Tangerri .

المقدمة

يتناول هذا البحث أصول وأسرار العقيدة الشامانية تلك الديانة التي نشأت وترعرعت في سيبيريا شمال شرق روسيا ثم أنتشرت في منغوليا ومناطق وسط آسيا الاخرى منذ أقدم العصور لكنها ظلت مجهولة ولم تكتشف أسرارها حتى بداية القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي عندما فاجىء جنكيزخان العالم بتنظيم شتات القبائل المغولية والقيام بحملات توسعية كبرى ضمنت السيادة على مايزيد نصف المعمورة آنذاك .

وأهمية هذا البحث أنه يهدف إلى تسليط الضوء على أصول وأسرار العقيدة الشامانية وفيما إذا كانت فلسفتها قائمة على عبادة مظاهر الطبيعة وأيمان مريديها وأتباعها قائم على تعدد الالهة كعبادة آله الشمس وآله القمر وآله الرعد والبرق والنهر وسواها من هذه مظاهر كما جاء في كتابات المؤرخين المسلمين ، أم أن هذه النظرة تبقى قاصرة ولا تعبر عن حقيقية أعتقادات المغول وديانتهم الشامانية التي تقضي فلسفتها وتأملاتها الروحية بعبادة آله واحد يعرف بأسم آلاله (تنغري) المشابه من حيث الفكرة والجوهر بآله الاديان السماوية ، ثم هل تأثرت نظرة المؤرخين المسلمين بشكل كبير بسلوك المغول العدواني والشائن من خلال أحتلالهم البلدان ، وأقامتهم المجازر بحق الشعوب وأحلال الدمار أينما حلوا فنعكست تلك النظرة الضيقة في كتابات المؤرخين على كل مايتعلق بعادات المغول الاجتماعية ، ومنها بطبيعة الحال عقيدتهم الشامانية .

نشاة الديانة الشامانية

تعد الديانة الشامانية من بين أقدم الديانات التي عرفتها البشرية ولا يوجد تاريخ محدد لظهورها بيد أن معظم المؤرخين الذين أرخوا لهذه الديانة ذكروا بأن جذورها يعود إلى الماضي السحيق وبالتحديد إلى العصور الحجرية عندما أقدم الانسان القديم على ممارسة الطقوس الشامانية في الكهوف الحجرية ، في حين أن بعض الاراء تذهب أن الشامانية ليست دين محدد قائم بذاته ، وأنما مجموعة تأملات ومذاهب لا حصر لها ويستدلون على ذلك من أختلاف الطقوس الشامانية بين منطقة واخرى ، كما أن تلك العبادات تختلف بين معبد واخر في ذات المدينة الواحدة .(١)

أما عن مكان الذي نشأت فيه هذه الديانة فمعظم الاراء تؤكد أن الشامانية ظهرت في سيبيريا(٢) في شمال شرق روسيا إلا أنها أنتشرت في نطاق واسع في منغوليا(٣) ومناطق وسط آسيا الاخرى وأجزاء من الهند والصين ، وفي هذا الصدد يذكر المستشرق الروسي بارتولد أن الديانة

الشامانية لم تكن ديانة المغول الاصلية إلا أنها أنتشرت في منغوليا كديانة وافدة بمرور الزمن حتى أعتنق جل سكان البلاد هذه الديانة تقريباً .(٤)

وقد أختلفت المصادر التي أرخت لتاريخ المغول حول طقوس وهوية الديانة الشامانية ففي الوقت الذي وصفت فيها المصادر الصينية والاوربية فضلاً عن روايات الرحالة الاوربيين الذين زاروا الاصقاع التي نشأت فيها هذه الديانة دونوا أقوالهم عنها فذكروا بأن الشامانية تعد ظاهرة دينية وتأملات فلسفية يقوم بها الكهنة الشامان تجاه آلاله الاكبر تنغري ، بينما ترى معظم المصادر الاسلامية أن العقيدة الشامانية ماهي إلا ديانة وثنية قائمة على الشرك بالله من خلال أعتقاد أتباعها بتعدد الالهة كآله الشمس والقمر والنهر والرعد وغيرها من مظاهر الطبيعية (٥) ، وفي الحقيقية أن نظرة هؤلاء المؤرخين المسلمين تبدو مقيدة إلى حد ما لعوامل دينية تجاه الاديان غير السماوية لذلك ظهر بعض التناقض في معلوماتهم بالنظر إذ ما قورنت بالمصادر المخالفة ، وفضلاً عن ذلك لا نستبعد أن جزء من الصاق تلك التهم على هذه الديانة يعود إلى بشاعة الاعمال الاجرامية الذين قاموا بها هؤلاء الغزاة تجاه ديار المسلمين عندما أقدموا على أحتلال المدن الاسلامية وعلى رأسها مدينة بغداد حيث توجت أعمالهم العدائية تلك بأستئصال الخلافة العباسية من الوجود ، كما أننا نشخص أسباباً آخرى لغموض العقائد الشامانية منها أن الديانة الشامانية تعد من الديانات غير التبشيرية فلم يعمد هؤلاء الغزاة إلى نشرها في البلدان التي خضعت لهم ولم يقوموا حتى ببناء المعابد للممارسة طقوسهم الدينية خارج منغوليا إلا ما ندر جداً ، لذا ظل جزء كبير من أصول هذه الديانة مبهم وغامض مما أنعكس في مرويات المصادر الاسلامية(٦) ، وهذا ما سنحاول أثارته بين ثنايا هذا البحث .

الديانة الشامانية بين ثنائية تعدد الالهة والتوحيد

عند تفحص النصوص والروايات التي تناولت أصول وعقائد الديانة الشامانية لاسيما ما ورد عند المؤرخين المسلمين منهم فإنه يبدو من الجلي الصاق صفة الوثنية على أتباع ومريدي هذه الديانة فمثلاً المؤرخ أبن الاثير(ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م) المعاصر لقيام الامبراطورية المغولية يؤكد على وثنية هذه الديانة وأن فلسفتها مستمدة من تقديس مظاهر الطبيعة كالشمس والقمر والبرق(٧)، فيما يذكر أبن كثير(٧٧٤هـ/١٣٧٢م) أن عقائد الديانة الشامانية تقوم على الشرك بالله والمخالفة لتعاليم الله والاديان السماوية وتقضي بعبادة مظاهر الطبيعة كالشمس والقمر والجبل وسواها من مظاهر الطبيعة ،(٨) في حين يذكر المؤرخ والفقيه تاج الدين السبكي (ت ٧٧١هـ/١٣٦٩م) أن عقيدة المغول الشامانية تقضي بعبادة الشمس مستدلاً على ذلك بذكر أن ديانة زعيم المغول جنكيزخان كان كافراً يعبد الشمس (٩).

ولم يخرج وصف الدراسات الحديثة والباحثين المحدثين الذين نقلوا نفس المعلومات تقريباً عن الديانة الشامانية من المصادر الاسلامية المعاصرة دون تمحيص على مايبدو ، وأولى تلك الاراء تاتي من الباحث فؤاد الصياد الذي يذكر أن المغول أعتقدوا بآله الشمس وآله القمر وآله الرعد[١٠] . في حين يذكر الباحث عبد السلام فهمي كان المغول طبقاً لطقوس العقيدة الشامانية فإنهم يعبدون كل شي يسمو فوق مداركهم وما يرهبهم نفوسهم ويدخل الخوف في قلوبهم ولهذا آمن المغول بآله الشمس والقمر وغيرها من مظاهر الطبيعة[١١] . وفي الواقع أننا نختلف من الاساس مع هذا الطرح لان تلك المصادر تجاهلت أي ذكر للآله الذي يعبده المغول والمعروف في المصادر الصينية والاوربية بأسم (آلاله تنغري) الذي يعني في اللغة المغولية (الاب السماوي) أو آله السماء الزرقاء، وهو آله مشابه من حيث الفكرة والطبيعة الالهية بآله الاديان السماوية وأن كانت الشامانية لاتعد في هذا العداد لكن جوهرها يضع في هذا المعنى ، كما أن ظاهرة تقديس المغول للظواهر الطبيعية كالشمس والبرق والرعد لانها كانت تثير الخوف والرعب في نفوسهم ، ومن أجل دفع شرها والتماس رضاها برزت ظاهرة تقديس هذه الظواهر عند الشامانيين لكن الامر لم يصل إلى درجة عبادتها، وأنما للأثر المادي المملوس الذي كانت تحدثه تلك الظواهر [١٢]، وفي الحقيقية أن هذه الاراء تدفعنا إلى التساؤل عن سبب خلط هؤلاء المؤرخين والباحثين بين ظاهرة عبادة مظاهر الطبيعة وما بين تقديسها وتجاهل ذكر آلاله تنغري ، وفي الواقع أننا نعزو هذه القصور الذي وقع فيه مؤرخو تلك الحقبة لعدة أسباب منها أن هؤلاء المؤرخين كانوا في وضع لا يسمح لهم بالاطلاع على مبادى العقيدة الشامانية بسبب البعد المكان الجغرافي الذي نشأت فيه هذه الديانة بعكس ما ورد في المصادر المخالفة لاسيما كتب الرحالة والبلدانيين الذين زاروا منغوليا ودونوا مشاهداتهم الحية عن هذه البلاد ومنها معلوماتهم التفصيلية التي تخص العقائد الشامانية ، كما أن هؤلاء الغزاة لم يكونوا مهتمين بنشر عقائدهم الدينية بين أوساط البلدان الي خضعت لهم ، ناهيك عن عدم أقامة هؤلاء الغزاة للمعابد في تلك البلدان لتسهم في شرح غموض العقيدة الشامانية مما جعل المصادر الاسلامية ومن نقل عنها من باحثين محدثين أكتفوا بذكر تقديس ظواهر الطبيعة وتجاهل أي ذكر للآله الاكبر تنغري كآحد أهم أصول العقيدة الشامانية [١٣].

ومما يؤكد هذه الاراء المستجدة عن أصول العقيدة الشامانية التي تقوم على عبادة آلاله تننغري ما ورد في بعض المرويات التي جاءت على لسان الرحالة الذين زاروا منغوليا وسيبيريا واطلعوا على معابدها وأسهبوا في وصف تفاصيلها ، وفي هذا الشان يذكر الرحالة والمبشر المسيحي وليم الروبروك الذي زار منغوليا في سنة ٦٥١هـ/١٢٥٣م أثر رحلة للتبشير بالديانة المسيحية من قبل البابوية

للتنصير بين أوساط المغول حيث التقى هذا الرحالة أمبراطور المغول منكو خان (٦٤٧-٦٥٥هـ /١٢٤٩- ١٢٥٧) رابع اباطرة المغول حيث عرض على الاخير أعتناق المسيحية ، لكن خان المغول رفض ذلك وفق ما جاء في رواية وليم الروبروك الذي برر اسباب ذلك الرفض بنص جاء فيه " أننا نحن المغول نعتقد بوجود آلهاً واحداً له نحيا وله نموت وعندنا قلب يخفق له ، لكن الله الذي أعطى اليد أصابع مختلفة كذلك أعطى طرقاً مختلفة في العبادة "[١٤] . وهذا النص يعطي دلالة واضحة على أن العقيدة الشامانية تعتقد بوجود آله واحد ، وأن تقديس الظواهر الطبيعية لم يكن سوى الخوف منها بفعل تفشي ظواهر الخرافات في المجتمع المغولي.

وفي رواية تصب في هذا الاتجاه وتؤكد ماذهبنا إليه ينقل الرحالة البندقي ماركو بولو الذي زار بلاط المغول في سنة ٦٧٠هـ/١٢٧١م وتحدث عن عقيدة المغول الشامانية بالقول " يؤمن المغول بآله ذات طبيعة سماوية ، وهم يحرقون له البخور في المباخر ، ويرفعون إليه الصلوات ويعدونه رباً يتولى حصانة شؤونهم الدينية ويحمي أطفالهم ويحرس ماشيتهم "[١٥] وهذا النص يشير بصراحة إلى أن عقيدة وفلسفة المغول الشامانية تقضي بعبادة آله واحد لاسيما أن هذه الرواية جاءت من رحالة عاش في بلاط المغول لما يزيد عن سبعة عشر عاما ، أرتقى خلالها أعلى المناصب حتى أصبح من حاشية خان المغول الخامس قوبيلاي (٦٥٨-٦٩٣هـ/١٢٦٠-١٢٩٤م) فمن دون أدنى شك فإن لهذه الرواية عن طقوس الشامانية لها دلالاتها ومصداقيتها بفعل الفترة الطويلة التي عاشها هذا الرحالة بين أوساط المغول بفعل مشاهداته الحية عن المجتمع المغولي وطقوسه [١٦]، ولذا يمكن القول أن ظاهرة تقديس مظاهر الطبيعة لم يكن إلا الخوف الذي كانت تثيره في نفوسهم وكان يولد خطر مادي أو ملموس تجاههم في مجتمع قبلي يغلب عليه الخرافات، وفي الواقع أن هذه الظاهرة لم تكن مقتصرة على المغول وحدهم فقد شاعت بين مجتمعات وعقائد مختلفة في تلك الحقبة المبكرة من التاريخ ، ومن هنا نرى أن المعلومات والروايات المستجدة عن الديانة الشامانية وطقوسها تضعها في أطار الديانات التي تؤمن بآله واحد على الرغم من الاختلاف في التفاصيل ، وهذا بخلاف ما ورد في المصادر الاسلامية وباحثيها .[١٧]

طقوس العقيدة الشامانية

على الرغم من تعدد التفسيرات والنظريات حول نشأة وطبيعة العقيدة الشامانية إلا أنه يمكن القول أن هذة الديانة تعد من الديانات الماورائية التي ترى أن العالم مليء بالارواح الشريرة والخيرة معاً لكن مسؤولية ترويض تلك الارواح الشريرة من مسؤولية رجل الدين الشامان القادر على جلب الارواح الخيرة وطرد الشريرة منها ، كما أن مصطلح (Shamanism) الذي أستمدت منه هذه الديانة أسمها

يعني التأملات الروحية أو المعرفية والفلسفية [١٨]، ومنها أشتقت كلمة (Shama) وهو رجل الدين أو الكاهن في هذه الديانة وتعني كلمة الشامان الرجل العارف في بواطن الامور أو الشخص الذي يرى في الظلام ، وتحث عقائد الشامانية على وجوب الاعتقاد بآلاله تنغري ، ويتمثل ذلك بأقامة الصلوات اليومية والتأملات الروحية في المعابد من قبل هؤلاء الكهنة من خلال الانسجام التام من قبل مريدي هذه الديانة لكسب رضا آلاله تنغري والعمل مع القوى الخيرة لطرد الارواح الشريرة وفق ما يعتقد أتباع هذه الديانة .[١٩]

وكان من بين أهم صفات رجل الدين الشامان التي يجب أن يتحلى بها لينال مرتبة الشرف ليكون وسيط بين آلاله تنغري وأتباع هذه العقيدة أن يكون الكاهن شخص متواضع زاهد قوي الحجة متبصر في الامور له القدرة على التنبؤ على بواطن الامور عارفاً في أمور المجتمع فضلاً عن كونه خبيراً متفقهاً ، وأن يفني حياته في سبيل الكهنوتية وخدمة آلاله تنغري .[٢٠]

أما عملية أختيار رجل الدين أو الشامان فكانت تتم وفق شروط خاصة وتكون على طريقتين فهو أما ينتمي لأسرة عريقة توارثت هذا الشأن أباً عن جد وكان له الحق في وراثة الكهنوتية طالما كان مقتدر على ذلك وتتوفر فيه هذه الصفات بفعل النشأة الوراثية ، وفي بعض الاحيان يصبح أحد الافراد كهنوتياً بفعل منزلة العالية التي ينالها في المجتمع لكن على الشامان قبل كل هذا أن أجتياز العقبات السبع أو المراحل الدينية السبع كي يصبح كهنوتي وفق العقيدة الشامانية ، وهي عبارة عن مراحل دينية يتم أجتيازها تدريجياً بداً من حياة الطفولة وقد يتطلب الامر حتى مشيخه ليصل إلى مبتغاه ، وعند أختيار الكاهن يزعم الشامانيين أن آلاله تنغري قد أختاره لتلك المهمة العظيمة . [٢١]

ويعرف عن الشامان بأنه كاهن متعدد المواهب فهو فضلاًعن كونه رجل الدين فقد برز كعارف في أمور المجتمع والطبيب والفيلسوف فضلاً عن ماله من المام كبير في السحر يسخره في سبيل الخير إذ كان من مهام الشامان القيام بدور الطبيب أو الشافي حتى أن المجتمع المغولي كان متقبل تماماً بتلك الفكرة فعند مرض أي شخص فلم يلجا المرضى إلى تناول العلاج وأنما الذهاب إلى هؤلاء الكهنة كان أمر مسلُم به للتطبب على أيديهم من خلال القيام بالصلوات والتأملات الروحية فإن شفى المريض فكان آلاله تنغري قد عفى عنه ، وأن لم يشف فإنه كان قد أرتكب جريرة كبيرة بحق آلاله [٢٢] ، وفي هذا الصدد يذكر الرحالة ماركو بولو أن تلك الظاهرة شاعت بين أوساط المغول في الصين حتى مع أنسياحهم في تلك البلاد أثر عمليات الغزو بقوله " أن مع توفر طرق العلاج الصينية الناجحة فإن عدد كبير من مغول الصين فيما إذا مرض أحدهم حتى ترسله عائلته إلى الكهنة الشامانيين والتوسل إلى آلاله تنغري لشفائه من مرضه ، حيث يقيموا الذبائح ويضربوا على

الالات وينشدوا الترانيم ، وعندئذ يسئلون الشخص المريض عن سبب علته فتجيب الروح أن هذا المرض كان بسبب جريرة أرتكبت في حق آلاله وحينها يقوم الكهنة بالتضرع للآله تنغري ملتمسين منه الشفاء " [٢٣]. وفي رواية أخرى قريبة من هذا المحتوى فإن بعض الكهنة كان يدعون الذهاب بأنفسهم إلى العالم السفلي لأستعادة الروح المريض التي تركت جسدها وأضلت طريقها بسبب قدرة هؤلاء الشامانيين على جذب الارواح وحتى الاتصال بالموتى على حد زعمهم .[٢٤]

وفي الحقيقة أن السحر جزء لا يتجزأ من أصول العقائد الشامانية حيث كان المغول على أعتقاد راسخ بتأثير السحر وأعمال الشعوذة على حياتهم ، كما أن عقائد الشامانية تبيح أستخدام السحر وتسخيره لأغراض الخير لطرد الارواح الشريرة ويمكن أن نستنتج صحة ذلك من طقوس الديانة نفسها التي تعترف بوجود أعمال الشر التي يقوم بها هؤلاء السحرة والمشعوذين ومن أجل مواجهة ذلك يقوم الكهنة الشامانيين بأعمال السحر مضادة وأن كانت أعمالهم تصنف في نطاق الخير ومحاربة الارواح الشريرة والاعمال الناتجة عن السحر والشعوذة ، وفي هذا الشأن يذكر الرحالة ماركو بولو وجود نوعين من السحرة في منغوليا فالصنف الاول يمثله الكهنة الشامانيين ويعمل على أشاعة الخير ويحملون النوايا الطيبة ، وهؤلاء لا هدف لهم سوى مساعدة الناس في كشف طالعهم في محاولة لأشاعة الخير ، في حين أن الصنف الاخر من السحرة كانوا يعملون على أشاعة الشر ولهم القدرة على أستحضار الارواح الشريرة على حد رواية الرحالة ماركو بولو [٢٥]. أما مايرد في المصادر فيدعم فكرة شيوع السحر على نطاق واسع في العقيدة الشامانية ، وفي الحقيقية أن أعداد هؤلاء السحرة كان يبدو كبيراً لذلك عندما وضع جنكيزخان قوانين الياسا[٢٦] كانت أحد بنود تلك القوانين تقضي بعقوبة القتل لمن يمارس أعمال السحر والشعوذة ، وعلى الرغم من أننا لم نحصل على معلومات تفصيلية دقيقية تفصل ما بين من يعمل في السحر لأجل الخير وما بين يعمل في السحر لاجل الشعوذة ولكن على ما يبدو أن النوع الاول أختص بالكهنة الشامانيين وفيما عداهم يضعه تحت محاسبة قوانين الياسا التي تقضي بقتلهم بعد تحميلهم أسباب غضب آلاله تنغري ويتمثل ذلك بأثارة الظواهر الطبيعة ضدهم كالبرق والرعد وغيرها .[٢٧]

أما فيما يتعلق الامر بمفهوم النبوة في العقيدة الشامانية فلم تشر المصادر التي أرخت لتاريخ هذه الديانة إلى تقبل الشامانيين لفكرة أتخاذ الانبياء إذ لم يكن للشامانيين أي نبي للتبشير بديانتهم ، لكن الكهنة الشامانيين لعبوا دور الوسيط بين آلاله تنغري وبين أتباع هذه الديانة الناس مع أن بعض المصادر تشير إلى الدور الكبير الذي لعبه مؤسس الامبراطورية المغولية جنكيزخان (٦٠٣-٦٢٤هـ/١٢٠٦-١٢٢٧م) بعدما عظم شأنه بين أوساط المغول وقام بدور مشابه إلى حد ما لدور

الانبياء في مجتمعاتهم فقد آمن كثير من المغول بأن جنكيزخان كان على صلة مباشرة مع آلاله تنغري [٢٨]، وفي هذا الشان يذكر المؤرخ الارميني كيراكوس أن كثير من المغول كان على أعتقاد جازم أن الله أخذ السماء وأعطى الارض لجنكيزخان ووفق هذه الاسطورة سوق جنكيزخان لنفسه فكرة أخضاع العالم لسلطته ويضيف كيراكوس أن المغول كانوا يعتقدون أن جنكيزخان لم يولد من صلب الانسان، وأنما تسرب كالضوء من رقع السماء إلى بطن أمه قأئلاً أحملي مني لتلدي ولداً يحكم العالم ، ومن خلال هذه الرواية يتضح فإن جنكيزخان لعب دوراً أشبه بدور النبوة عند المجتمع المغولي لا سيما بعد وضعه قوانين الياسا الجنكيزخانية التي أضحت أشبه بالكتاب المقدس عند المغول والتي أستمد معظم تشريعاتها من العقائد الشامانية والبيئة المغولية نفسها [٢٩]، وأن كان ليس من مبادى وعقائد الشامانية الاعتراف بمفهوم النبوة لكن أيمان المغول بمنزلة جنكيزخان الكبيرة عند آلاله تنغري جعل من القدسية التي حظي بها أقرب لمفهوم النبوة بين أوساط المغول لا سيما أن الحاجة كانت ماسة لأضفاء الشرعية المقدسة على شخصه في زعامة المغول كونه برز كرجل سياسة ولم يفقه في أمور الدين[٣٠] .

الموت والحياة الاخرى في الديانة الشامانية

آمن أتباع العقيدة الشامانية أعتقاد راسخ بفكرة الحياة بعد الموت ، وأن الجسد ما أن يفنى بعد الموت حتى تخلق أعضائه من جديدة بعد الصعود إلى السماء ، فقد شاعت مفاهيم الخلود في العقيدة الشامانية ومبدأ الثواب والعقاب لمن قام بالاعمال الصالحة ، والتوعد بالعقاب الشديد لمن قام بالاعمال المشينة التي تغضب آلاله تنغري ، وفي الحقيقية أن هذه الفكرة لم تخص الشامانيين وحدهم فمع أستسلام الانسان منذ الازل لحتمية الموت جعل منه يفني نفسه لأدراك الحياة الاخرى وهو على أفضل الحال ، لذلك أنحصر تفكير جل العقائد الدينية سواء كانت سماوية أم غير سماوية أن ينقاد تفكيرها بجزئيتين رئيسيتين وهما الحياة في الدنيا والحياة في الاخرى لذا يمكن القول أن حياة الاخرى في العقيدة الشامانية هي أنعكاس لأعمال الانسان في الحياة الدنيا ، وهي نفس الفكر والجوهر التي وردت في جميع الاديان تقريباً على أختلاف عقائدها ومسمياتها .[٣١]

أما عن طقوس الموت ودفن الموتى فكانت في العقائد الشامانية لها سماتها الخاصة وتكاد تختلف جذرياً عن عادات الشعوب والديانات الاخرى فكان المغول الشامانيين يفضلون دفن الموتى في أعلى قمم الجبال وفي التحديد في جبال التاي[٣٢] ووفقاً للمعتقدات الشامانية فإن أتباع هذه الديانة يفضلون الدفن على قمم الجبال ليكونوا بالقرب من آلاله تنغري حسبما يزعمون .[٣٣]

وكدليل على الصلة الوثيقة بين حياة الدنيا والاخرى في العقائد الشامانية فإن عند وفاة أي شخص من أتباع هذه الديانة تدفن معه المرفقات جنائزية في رحلته نحو العالم الاخر ، وأن كانت تلك المرفقات الجنائزية تختلف حسب مكانة الشخص المتوفي فكان يدفن رفقة أمبراطور المغول وكبار الامراء من أفراد الاسرة الجنكيزخانية عدد كبير من المجوهرات والخيول وافخر الاطعمة لتكون أنيسة لهم في الحياة الاخرى ، بينما كان يدفن مع عامة الناس سوى ملابس بسيطة وبعض الاطعمة [٣٤] .

ويذكر مؤرخ المغول رشيد الدين بن فضل الله الهمذاني (ت٧١٨هـ/١٣١٨م) أن من بين عقائد الشامانية أقامة الاضاحي للمتوفي ، ويستدل على ذلك بعدد من الروايات من بينها أنه عندما أعتلى اوكتاي خان (٦٢٦-٦٣٩/١٢٢٩-١٢٤١) عرش الامبراطورية المغولية قرر توزيع الطعام على روح والده جنكيزخان كما أختار أربعين فتاة حسناء من نسل الامراء والبسوهن أفضل الملابس رفقة المرصعات والجواهر مع عدد من الخيول ودفنوا أحياء ليخففوا من وحشة جنكيزخان، ويشير أن ذلك تم وفق معتقدات وطقوس الديانة الشامانية [٣٥]، وعندما توفي هولاكو خان (٦٥٦-٦٦٣هـ/١٢٥٨-١٢٦٥م) حفيد جنكيزخان دفنت معه عدد من الفتيات الجميلات رفقة المجوهرات وأجود الخيول ، وهذا يشير بوضوح إلى الصلة المزعومة بين الحياة الدنيا والاخرة وفق المعتقدات الشامانية .[٣٦]

غير أن معظم المصادر تشير أن العقود المتأخرة من قيام الامبراطورية المغولية شهد دخول ثقافات البلدان المحتلة وتغلغلها في العقائد الشامانية، فكان أستيعاب العقائد الشامانية للثقافات الاخرى أمراً لا مفر منه لان المغول حكموا بلداناً كانوا هم يشكلون أقلية فيه ، وأخذوا يتكيفون مع ما لدى الشعوب من معتقدات حتى أعتنق المغول أنفسهم ديانات تلك البلدان لتثبيت سطوتهم وقطع المجال أمام التمردات التي تقوم بها الشعوب المغلوبة حيث أعتنق معظم مغول العراق وبلاد فارس الدين الاسلامي فيما أعتنق مغول الصين الديانة البوذية فضلاً عن أعتناق جزء كبير من المغول الديانة المسيحية ، ومن هنا نؤشر بدأ مرحلة تراجع العقيدة الشامانية والمغول عموماً حتى ذابوا في المجتمعات التي أخضعوها بمرور الوقت لانهم كانوا مجرد أقلية فيه [٣٧] .

قائمة المصادر العربية والمعربة

(١) أبن الاثير، عز الدين علي بن محمد بن عبد الكريم (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م) ، الكامل في التاريخ ، (بيروت : دار الكتب العلمية، ١٩٨٧م) .

(٢) بولو ، ماركو (ت٧٢٥هـ/ ١٣٢٤م) ، رحلات ماركو بولو، ترجمة عبد العزيز جاويد ، (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٦م) .

(٣) أبن تغري بردي ، أبو المحاسن جمال الدين يوسف (ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م)، النجوم الزاهـرة في ملوك مصر والقاهرة ،(القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية ،١٩٣٨م) .

(٤) الجوزجاني ، أبي عمرو منهاج الدين عثمان بن السراج الجوزجاني (٦٥٨هـ/١٢٦٠م) ، طبقات ناصري ، ترجمة ملكه علي التركي ، (القاهرة : المركز القومي للترجمة ، ٢٠١٣م) .

(٥) الجويني ، علاء الدين عطا ملك (ت٦٨١هـ/١٢٨٣م)، تاريخ جهانكشاي ، نقله عن الفارسية محمد التونجي (دمشق : دار الملاح للطباعة والنشر،١٩٨٥م) .

(٦) السبكي ، تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن تقي الدين(ت٧٧١هـ/١٣٦٩م)، طبقات الشافعية الكبرى، (القاهرة : دار أحياء الكتب العربي ، ١٩٦٧م) .

(٧) أبن كثير ، عماد الدين أبو الفداء أسماعيل بن عمر (ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م)، البداية والنهاية ، (الرياض : هجر للطباعة، ١٤١٩ هـ) .

(٨) وصاف ، شهاب الدين بن عبدالله بن فضل الله وصاف (ت٧٣٥هـ/١٣٣٤م) ، تاريخ وصاف ، (طهران : خيابان حافظ ، ١٣٤٦ هـ.ش) .

المراجع الحديثة

(١) أقبال ، عباس ، تاريخ المغول ، (أبو ظبي : المجمع الثقافي ٢٠٠٠م) .

(٢) بارتولد ، فاسيلي فلاديمير ، تاريخ الترك في آسيا الوسطى ، ترجمة أحمد السعيد سليمان، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٦٦م) .

(٣) بياني ، شيرين ، ، المغول التركيبة الدينية والسياسية ، ترجمة سيف علي ،(بيروت : المركز الاكاديمي للأبحاث ، ٢٠١٣م).

(٤) الصياد ، فؤاد عبد المعطي ، المغول في التاريخ ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٩٦٧م) .

(٥) فهمي ، عبد السلام عزيز ، الدولة المغولية في ايران ،(القاهرة : دار المعارف ، ١٩٨١م) .

(٦) كيرتن ، جيرمانا ، رحلة إلى جنوب سيبيريا ، ترجمة عدنان خالد عبدالله ، (أبو ظبي : هيئة أبو ظبي للثقافة ، ٢٠٠٩م) .

(٧) لاين ، جورج ، عصر المغول ، ترجمة تغريد غضبان ،(أبو ظبي : هيئة أبو ظبي للسياحة والفنون ، ٢٠١٢م) .

المصادر الانكليزية والاوربية

(1)Atood . Christopher. R., Encycloedia of Mongolia,(New York: 2004) .

(2)Bergreen , Laurence , Marco Polo from Venice to Xanadu , (New York : 2007) .

(3) Buell , Pual. D. Historical Dictionary Of the Mongol Empire,(London : 1987) .

(4) Howrth . H , History of the Mongols , (London : 1927) .

(5) Kirakus , Armenian History , (London ; 1900) .

(6) John Masefield, Marco Polo's silk Road, (London: 2011).

((7) William Rebruk , The Misson of William Rebeuk, (London: 2009) .

الـهـوامـش

---

(1) Pual. D. Buell , Historical Dictionary Of the Mongol Empire,(London : 1987) , pp. 241-242 .

(٢) سيبيريا : وهي بلاد تقع في شمال شرق روسيا، وتمتد إلى غرب جبال الاورال وتصل إلى حدود منغوليا والصين جنوباً . للمزيد من المعلومات أنظر : ماركو بولو ، رحلات ماركو بولو ، ترجمة عبد العزيز جاويد ، (القاهرة : الهيئة المصرية للكتاب، ص١٩٩٦م) ، ج١ ، ص ٢٨٨ ؛ جيرمانا كيرتن ، رحلة إلى جنوب سيبيريا ، ترجمة عدنان خالد عبدالله ، (أبو ظبي : هيئة أبو ظبي للثقافة ، ٢٠٠٩م) صص٢١-٢٢ .

(٣) مغوليا : وهي بلاد تقع في قلب آسيا، ويحدها الاراضي الروسية من جهة شمال فيما يحدها الصين من جهة الجنوب والشرق . للمزيد من المعلومات أنظر:

John Masefield, Marco Polo's silk Road, (London: 2011),p.174.

(٤) فاسيلي فلاديمير بارتولد ، تاريخ الترك في آسيا الوسطى ، ترجمة أحمد السعيد سليمان، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٦٦م) ، ص ١٧٢ .

(٥) عز الدين علي بن محمد بن عبد الكريم بن الاثير ، الكامل في التاريخ ، (بيروت : دار الكتب العلمية، ١٩٨٧م) ، ج١٠ ، ص ٤٠٠ ؛ ماركو بولو ، رحلات ماركو بولو، ج١ ، ص ١٤١ .

(6) Pual. D. Buell , Historical Dictionary Of the Mongol Empire,

(٧) أبن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج١٠، ص ٤٠٠ .

(٨) عماد الدين أبو الفداء أسماعيل بن عمر بن كثير، البداية والنهاية ، (الرياض : هجر للطباعة، ١٤١٩ هـ) ، ج١٧ ، صص١٦١-١٦٣ .

(٩) تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، (القاهرة : دار أحياء الكتب العربي ، ١٩٦٧م) ، ج٦ ، ص ٢٧٥ .

(١٠) فؤاد عبد المعطي الصياد ، المغول في التاريخ ، (بيروت دار الكتب العلمية ، ١٩٦٧م) ، ص ٣٣٥ .

(١١) عبد السلام عبد العزيز فهمي ، الدولة المغولية في ايران ،(القاهرة : دار المعارف ، ١٩٨١م) ، صص ٢٤-٢٥ .

(١٢) ماركو بولو ، رحلات ماركو بولو ، ج١ ، ص ١٤١ ؛ جورج لاين، عصر المغول ، ترجمة تغريد غضبان ،(أبو ظبي : هيئة أبو ظبي للسياحة والفنون ، ٢٠١٢م) ، ص ٢٧٣ .

(١٣) ماركو بولو ، رحلات ماركو بولو ، ج١ ، ص ١٤١ .

(14) William Rebruk , The Misson of William Rebeuk, (London: 2009) , p 201 .

(١٥) ماركو بولو ، رحلات ماركو بولو ، ج١ ، ص١٤١ .

(١٦) المصدر نفسه ، ج١ ، صص ١٤١-١٤٢ .

(١٧) أبن كثير ، البداية والنهاية ، ج١٧ ، صص ١٦١-١٦٢ ؛ لاين ، عصر المغول ، ص ٢٧٤ .

(18) Christopher. R. Atood , Encycloedia of Mongolia,(New York: 2004) , p.494 .

(١٩) لاين ، عصر المغول ، ص ٧٣ .

(20) Atood, Encycloedia of Mongolia . pp 494-495 .

(21) Pual. D. Buell , Historical Dictionary Of the Mongol Empir, p. 242 .

(22) Laurence Bergreen, Marco Polo from Venice to Xanadu , (New York : 2007) . p. 220 .

(23) Ibid , p 220 .

(24) Ibid , pp.220-221 .

(25) Ibid , p 142 .

(٢٦) الياسا: وهي كلمة مغولية- تركية تعني القانون أو الحكم أو القاعدة والمقصود بها هنا هي مجموعة الأحكام والقوانين التي أقرها جنكيزخان مؤسس الامبراطورية المغولية في عام ٦٠٣هـ/ ١٢٠٦م، وقد وقد إستنبطت معظم أحكامها من عادات وتقاليد المغول القديمة ، وهي قوانين صارمة تنص معظم بنودها على قتل المخالفين لتلك القوانين ، وأصبحت بمثابة الدستور للامبراطورية المغولية . للمزيد من المعلومات أنظر : علاء الدين عطا ملك الجويني ، تاريخ جهانكشاي ، نقله عن الفارسية محمد التونجي (دمشق : دار الملاح للطباعة والنشر،١٩٨٥م)، ج١ ، صص ١٦-٢٢؛ أبو المحاسن جمال الدين يوسف أبن تغري بردي(ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ،(القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٣٨) ، ج٦، ص ٢٨٦ .

(٢٧) أبي عمرو منهاج الدين عثمان بن السراج الجوزجاني (٦٥٨هـ/١٢٦٠م) ، طبقات ناصري ، ترجمة ملكه علي التركي ،(القاهرة : المركز القومي للترجمة، ٢٠١٢م) ، ص ١٦٦ ؛ عباس أقبال ، تاريخ المغول ، (ابو ظبي : المجمع الثقافي ٢٠٠٠م) ، ص١١٩ .

(٢٨) لاين ، عصر المغول ، ص ٢٧٤ .

(29) Kirakus , Armenian History , (London ; 1900), p . 227 .

(٣٠) الجويني ، تاريخ الجهانكشاي ، ج١ ، صص ٦١-٦٥ .

(31) Pual. D. Buell , Historical Dictionary Of the Mongol Empire, p 241 .

(٣٢) جبال التأي : وهي سلسلة جبال طويلة تقع بين منغوليا والصين ، وتمتد حتى سيبيريا شمالاً. للمزيد من المعلومات أنظر:

John Masefiled , Marco Polo's silk Road . p 97.

(٣٣) شيرين بياني ، المغول التركيبة الدينية والسياسية ، ترجمة سيف علي ،(بيروت : المركز الاكاديمي للأبحاث ، ٢٠١٣م) ، ص ٣٣ .

(٣٤) لاين ، عصر المغول ، ٢٥٧ .

(٣٥) رشيد الدين بن فضل الله الهمذاني ، جامع التواريخ ، (بيروت : دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، ١٩٨٣م) ، ص ٣٠ .

(٣٦) شهاب الدين بن عبدالله بن فضل الله وصاف ، تاريخ وصاف ، (طهران خيابان حافظ ، ١٣٤٦ هـ.ش) ، ج٥ ، ص ٢١٣ .

(37) Howorh . H. History of the Mongols , (London ; 1927) , vol. 2 . p. 227 . Pual. D. Buell , Historical Dictionary Of the Mongol Empir, p. 241 .